احْـمِ نفسك ..... تعلَّم كيف تـُعلِّم نفسك

شعار جديد لعامٍ دراسي جديد

أ.د. صلاح الخراشي *

استقبلت مدارسُنا في مختلف أقطارنا العربية العامَ الدراسيَّ الجديد ٢٠٢٠م/٢٠٢١م بشكلٍ مغاير، يشوبه الحذر، والترقب؛ بسبب تفشِّي ڤيروس كورونا (كوڤيد -١٩) فيها، وفى العالم عامة؛ وهو ما دفعنا لنكون أمام إشكاليَّة الموازنة بين السلامة، والتعليم... سلامة أبنائنا التلاميذ؛ وهي أولوية، وتعليمهم؛ وهو أولوية أيضًا، وتستدعي العناية بالأولويَّتَيْن – في الوقت نفسه – تضافر جهود كل ذوي الصلة بمنظومة التعليم المدرسي، والعمل يدًا بيد تحت مظلَّة شعار "احْمِ نفسَك.... تعلَّم كيف تُعلِّم نفسك".

إن مواجهة إشكاليَّة "السلامة، والتعليم معًا" في ظل جائحة كورونا؛ تتطلَّب – بداية – تغيرًا في الاستراتيـجيَّات، والإجراءات مع إعادة فتح المدارس؛ وذلك على المستويين: القُطري، والمحلي على السواء؛ وفقًا لمدى، أو معدل انتشار الڤيروس. ومن بين هذه الإجراءات: التدرُّج في استقبال التلاميذ، وذهابهم إلى المدارس في أيام محددة في الأسبوع؛ وليس في أيامه كلها؛ ومن ثَمَّ تقليل كثافة الفصول، مع اتخاذ التدابير الاحترازيَّة؛ لتهيئة بيئة آمنة؛ لحماية التلاميذ والمعلمين وسلامتهم، ومناخ داعم للتعليم والتعلم.

احْمِ نفسَك....

مع انتشار ڤيروس كورونا، وخطورته تتصدَّر حماية التلاميذ، وسلامتهم الأولويات كلها؛ خاصةً من قِبَل أولياء أمورهم، وبطبيعة الحال فإن هذه الحماية ترتبط – ارتباطًا مباشرًا، وقويًا – بحماية المتعاملين معهم في المدارس؛ ونعني بذلك المعلمين بالدرجة الأولى، وعلى الجانب

* كلية التربية – جامعة الإسكندرية – مصر.

الآخر؛ فلا طائل من وراء كل تدابير الحماية؛ ما لم يكن تلاميذُنا على درايةٍ بكيفيَّة حماية أنفسهم بأنفسهم، وفى هذا السياق يمثل تعزيز ما يمكن أن نطلق عليه: "ثقافة الكورونا"، ونشرها بين التلاميذ والمعلمين؛ ضرورةً لازمة، ولهذا الغرض، وارتباطًا به؛ يتوجب العمل على:

- تنمية الوعي في مجتمع المدارس بطبيعة ڤيروس الكورونا، وخطورته، وكيفية الوقاية من الإصابة به، وكل ما يستجدُّ بشأنه من معلومات، تكشف عنها الدراسات، والتقارير العلميَّة.
- تطبيق تدابير السلامة داخل المدرسة، وخارجها؛ ومن أهمها: فحص الحرارة، واستخدام الأقنعة، وغسل اليدين، وتحجيم التفاعلات.
- دمج المفهومات، والأفكار، والقضايا ذات الصلة بالصحة العامة، والسلامة الشخصية، وسبل مواجهة القيروس في أنشطة التعليم والتعلُّم؛ الصَّفِّيَّة، واللاصَفيَّة.
- عرض أمثلة من قصص نجاح التلاميذ، والمعلمين، وغيرهم في مواجهة القيروس بعد الإصابة به، وحتى الشفاء.
- تبادل الخبرات الجيدة بين المدارس في مجال تنمية الوعي بثقافة ڤيروس الكورونا، ومبادرات، وآليَّات مواجهته.

تَعلَّم كيف تُعلِّم نفسَك.....

ثمَّةَ مَن يرى أن انتشار ڤيروس كورونا – وإن كان "محنة" – فهو في جانب منه قد يكون "منحة"؛ فمن اليسير ملاحظة أن هذا الانتشار منذ مارس ٢٠٢٠م، وحتى الآن دفع منظومة التعليم المدرسي – والجامعي أيضًا – إلى استخدام صيَغ بديلة للتعليم المباشر وجهًا لوجه، حيث فرضت جائحة كورونا غلق المدارس وغياب التواصل المباشر بين المعلم وتلاميذه، وترتيبًا على ذلك؛ شهدنا تفعيلًا لإمكانات تكنولوچيا المعلومات والاتصال في استكمال تنفيذ المناهج المدرسية عن بُعد؛ عبر شبكة المعلومات العالميَّة "الإنترنت"، والحاسب الآليّ، وكذلك التليفزيون، والإذاعة، وتواتر استخدام مصطلحات؛ مثل: التعليم المرتكز على الإنترنت، والتعلُّم الإلكتروني، والفصول الافتراضية، والتعليم عن بعد، كما انتشر في أوساط المعلمين، والمتعلمين استخدام أسماء التطبيقات الإلكترونية التى يُستعان بها في التعليم عن بُعد.

ومن جهةٍ أخرى، استلزم استخدام التعلُّم الإلكتروني – في ظل انتشار ڤيروس كورونا – تغيرًا في مسئوليات المعلم، والكفايات المطلوب توافرها لديه؛ للوفاء بتلك المسئوليات، كما استلزم تغيرًا موازيًا في أدوار المتعلم، وانتقالًا من مفهوم التعليم إلى مفهوم التعلم، أو بالأحرى تعلم

كيفية التعلم، الذي يتطلب – بالدرجة الأولى في ظل تفشِّي القيروس، وما استتبعه من التوجه نحو التعلم الإلكتروني – ما يأتي:

- استخدام آليَّات مختلفة؛ لدعم قدرات التلاميذ على التعلم الذاتي، وتنمية مهاراتهم على ذلك؛ ومن أهمها: القراءة والكتابة باللغتين: العربية، والإنجليزية، والتواصل، وإدارة الوقت، ومهارات الحاسب الآلي الأساسيَّة.
- وعي من المتعلم بالإمكانات المتنوعة لتكنولوچيا المعلومات والاتصال، وكيفية توظيفها في التعلم الإلكتروني، والتعلم المُدمَج أو الهجين، وينطوي ذلك على تمكُّن المتعلم من مهارات البحث في الإنترنت، واستخدام المنصَّات وبرامج التعليم والاجتماعات الإلكترونية؛ العالمية والعربية، وبنوك المعرفة؛ مثل: بنك المعرفة المصري، وفى هذا الصدد نشرت اليونسكو قائمة تضمَّنت ٦٠ تطبيقًا، ومنصة تعليمية تساعد المعلمين، والآباء، والمدارس في تيسير التعلُّم في أثناء غلق المدارس معظمها مجاني؛ من أشهرها استخدامًا في ظل انتشار القيروس: "زووم" zoom ، و"جوجل كلاس رووم" Google Classroom، و"إدمودو" Edmodo، و"تيمز" Teams. ومن أهم منصَّات التعليم العربية: "إدراك" Edraak،"ونفهم" Nafham.
- تبنِّي نهج التربية الوالديَّة، وتفعيله في ترقية معرفة أولياء أمورهم، ومهاراتهم، وتطوير معتقداتهم نحو التعليم، والتعلم؛ بما يؤهلهم لأداء أدوارهم، ومسئولياتهم الجديدة في مساندة تعلم أبنائهم الآن – في ظل تفشِّي القيروس– وفي المستقبل؛ وهو ما يقتضي توعيتهم بمصدر هذه المسئوليات، وطبيعتها، وكيفية أدائها.
- تواصل جيد، ومستمر بين المدرسة، والمنزل؛ عبر جسور إلكترونيَّة، يُستعان – في تأسيسها – بالإنترنت، وتطبيقات إلكترونيَّة تربط المتعلمين، وأولياء أمورهم بالمعلمين؛ لتيسير مواد التعليم والتعلم، ومتابعة تقدم المتعلمين، وتقييم أداءاتهم، وتوفير التغذية الراجعة، والإرشاد لهم، ولأولياء أمورهم.

إن تَطلُّعنا إلى النجاح في الجمع بين سلامة التلاميذ، والتعليم في العام الدراسي الجديد؛ قد يبدو أمرًا صعبًا؛ غير أنه ممكن بالتخطيط الجيد، والتهيُّؤ المناسب، والتنفيذ الفاعل، والمتابعة المُدقِّقة، والتقييم المستمر، والعمل الفريقي الذي يشمل المَعْنِيِّين بسلامة تلاميذنا وتعليمهم، ومع ذلك كله تبقى عنايةُ كُلِّ تلميذٍ بحماية نفسه، وتعلُّم كيفية التعلُّم؛ فَرَس الرِّهان في سباقنا مع جائحة كورونا.